

بشير ربؤح | *Bachir Rabbouh

مراجعة كتاب معلم ألماني: هايدغر وعصره لروديفر سافرانسكي

German Teacher: Heidegger and his Age
Rudiger Safransky

العنوان الأصلي للكتاب: *Ein Meister aus Deutschland: Heidegger und seine Zeit*.

المؤلف: روديفر سافرانسكي.

الناشر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

تاريخ النشر: 2018.

عدد الصفحات: 656.

* أستاذ الفلسفة الغربية بجامعة باتنة (الجزائر).

Professor of Western Philosophy at the University of Batna (Algeria).

الألمان⁽¹⁾، وهذا كله يدل على أن الباحث اكتسب خبرة كبيرة في فهم النمط العام الذي يتحكم في الحياة الفكرية لهذه الشخصيات التاريخية، فمن العسر أن تكتب بأسلوبك الخاص، ولا سيما عندما يكون التعامل مع شخصيات على درجة عالية من التركيب والتعقيد والشهرة، إضافة إلى أن هايدغر يعترض على مفهوم السيرة الذاتية، ويرفض كل إجراء يرمي إلى الربط بين ما هو شخصي وما هو معرفي. ففي مجال فلسفة الدين والسياسة والفلسفة الحديثة، يقول الباحث المغربي محمد الشيخ: «ولعل هذا ما يفسر قلة عناية هايدغر باستحضار حياة الفلاسفة في أعماله، وذلك لأنك واجد الكتاب الذي يربو على الألف صفحة لا تكاد الصفحات منه التي يفردها للحديث عن حياة الفلاسفة تزيد عن العشرين؛ مثلما هو حال مؤلفه عن نيشته [...] ولعل هذا هو أيضًا ما يفسر مهاجمته لكل محاولة تفسير فلسفة ما بالاستناد إلى 'شروط تأليفها النفسية'، وإلى 'أنحاء الحشو المتعلقة بحياة الفيلسوف الشخصية'، وإلى لجوئه، كلما اضطر إلى الحديث عن حياة المفكر، إلى الإلماع بأن عرضه لحياته، إن حدث، فإنما سيتخذ شكل 'عرض وجيز ومبتسر'. فما حياة الفيلسوف الشخصية، التي تبقى عنده في جوهرها غير ذات بال، بالمدلة لنا على حياته الفلسفية وعمله الفكري [...] مثلما يفسر هذا الأمر سعيه إلى تجاوز 'الإنسان' وحتى العمل (L'Œuvre) بما يعكس الشخص واضح العمل، وبما يحيل إلى

(1) على سبيل المثال، انظر:

Rüdiger Safranski, *Nietzsche: Biographie d'une pensée* (Paris: Actes Sud, 2000); Rüdiger Safranski, *Schopenhauer et les années folles de la philosophie* (Paris: PUF, 1990); Rüdiger Safranski, *Goethe: Kunstwerk des Lebens: Biographie* (München: Hanser 2013).

بت ضمن مشروعه الترجمي الرائد الذي يتوجه صوب نقل النصوص الفكرية، وخاصة الفلسفية منها، إلى اللسان العربي القادر على تقديم ضيافة كريمة لها، قام المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (سلسلة «ترجمان»)، بترجمة كتاب معلم ألماني: هايدغر وعصره *Ein Meister aus Deutschland: Heidegger und seine Zeit* للباحث الألماني روديفر سافرانسكي.

ومعروف في الوسط الفلسفي الألماني أن الكاتب درس الفلسفة برفقة الفيلسوف تيودور أدورنو، وانشغل بالأدب الألماني، وخاصة تاريخ الفن، في جامعة غوته، بفراנקفورت، والجامعة الحرة بمدينة برلين، وعمل أستاذًا مساعدًا في الفترة 1972-1977، في الجمهورية الفدرالية الألمانية سابقًا.

وبعدها، في نهاية السبعينيات، اشتغل محررًا وناشرًا في عالم الصحافة الأدبية. ومنذ عام 1987، أصبح يشتغل كاتبًا مستقلًا. وهو عضو في هيئات أكاديمية عديدة، وحصل على جوائز علمية، وقام بدراسات حول: فريديريتش شيلر، وآرثر شوبنهاور، وفريديريتش نيتشه، ومارتن هايدغر، ويوهان غوته.

ويُعد هذا الكتاب المُترجم، من حيث الترتيب، المؤلف الخامس ضمن أعمال الكاتب، وقد صدر عام 1994، وترجم إلى اللسان الفرنسي بعنوان *Heidegger et son Temps* («هايدغر وزمنه») عام 1996، وصدر عن دار قراسي Grasset الفرنسية، وترجمته م الباحثة الفرنسية في مجال الفلسفة الدينية، إزابال كالينوفسكي Isabelle Kalinowski، وكان الباحث على الدوام منشغلًا بالسير الذاتية لكبار الفلاسفة

المؤلف (L'auteur)، نحو 'الكيونة' و'تاريخها' وحملها الإنسان على النظر⁽²⁾. وفي حديثه عن حياة الفيلسوف اليوناني أرسطوطاليس، قال مختصراً: «وُلد، وعمل ومات» (ص 19).

وفي هذا التمشي، يمكن القول إن عدم الاكتراث بما هو شخصي في حياة المفكرين يُعد في نظرنا خطأً إستراتيجياً يؤدي إلى تكريس النزعة اللاتاريخية. فالأفكار، كما يقول ماكس فيبر، لا تنمو كالأزهار، بمعنى أن نموها يحمل منطقاً مخصوصاً، يتشكل وفق اشتراطاتها المختلفة، وفي إطار سياقات متشابكة ومتعاشقة؛ فمن غير الممكن أن نذهب جهة فهم فكر الفيلسوف وتفسيره وتحليله، بعيداً عن جملة العوامل التي مثلت شخصيته وصقلتها؛ مثل المولد، والعائلة وكيفية تشكلها، وموقعها في النظام العام للمجتمع، والقرية والمدن التي سافر إليها وعمل فيها، والشخصيات التي نهل منها، والنصوص اللاهوتية والفلسفية التي أطرت عقله في مراحل الأولى، وصدقاته، وأساتذته، ومساره التعليمي العام، وزواجه، وعلاقاته العاصفة، وجملة الأحداث التاريخية التي عاشها، وحزمة الأزمات التي مر بها، ومؤلفاته الفلسفية، وطبيعة علاقاته بطلبته وأفراد محيطه العائلي والجامعي، والصراعات التي انخرط فيها، والمحن التي تعرض لها، وشخصيته التي تتميز بالبُعد عن كل ما يتعلق بالفضاء العام، أو كما يحلو له أن يسميه بـ «الهُم»، أو الأعمار Le on, Das man.

ومن هنا، جاء هذا الوصف باعتباره معلماً ألمانياً. وقال عنه تلميذه الفيلسوف الألماني هانز جورج غادامير (1900-1902): «مهما يكن من أمر فإن هيدغر هناك وليس بمقدور المرء تجنبه، ولا أن يرتقي خلفه على طريق سؤاله لسوء الحظ، فهو يقطع الطريق بشكل مقلق جداً. إنه سدّ منجرف يغمره تيار الفكر المندفَع صوب الكمال التقني، ولكنه سدّ لا يمكن أن يُزحزح من مكانه». وقال عنه أيضاً: «كل عصر راهن يجب أن يحدد من جديد موقعه طبقاً لعمل هيدغر أو موقفه منه. ويستوجب على كل مفكر معاصر ساهم هو نفسه في تطوير سؤال هيدغر الفلسفي ونشره، ألا يحدد فقط موقع تفكير هيدغر في الفلسفة الراهنة، بل عليه أيضاً أن يحدد وجهة نظره منه. وهو لن يدعي كذلك الحكم على الأهمية التاريخية لمارتن هيدغر، بل على العكس، سيكافح من أجل مواصلة المساهمة في الفكر الذي استهلته أسئلة هيدغر⁽⁴⁾؛ ومن ثم، كان: «ابناً لقرن جديد، قرن هيمن عليه نيتشه والنزعة التاريخية، والفكر الذي أشاعته فلسفة الحياة، كما رفع هذا القرن لواء الشك في وجه جميع البيانات التي تدور حول الوعي الذاتي⁽⁵⁾».

(3) حنة أرندت، «الملك السري للفلسفة»، مجلة فكر وفن، العدد 48 (1988)، ص 23.

(4) هانز جورج غادامير، طرق هيدغر، ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح (بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2007)، ص 260-261.

(5) المرجع نفسه، ص 156.

يحمل الكتاب عنواناً دالاً في عبارته (معلم ألماني: هايدغر وعصره)، بحيث يدل على أن هايدغر شخصية معرفية استطاع أن ينتزع بكل

(2) محمد الشيخ، نقد الحداثة في فكر هايدغر (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008)، ص 307.

الدير، والارتباط بالطبيعة، والنظر إلى مدينة بادن على أنها معقل ثورة 1848، فضلاً عن أن هايدغر كان فيها قارعاً للأجراس، وصانعاً للسفن، وقد نُعت بـ«ساحر مسكيرش الصغير»، إضافة إلى الاطلاع على طبيعة علاقته بوالديه (وفاة والده سنة 1924، ووفاة والدته سنة 1927)، وطبيعة الوجود في العالم الكاثوليكي، والوسط الليبرالي، حيث تعلم منهما فكرتي الأصالة واللاأصالة، وتبلورت لديه فكرة العدا للحدائثة التي نسيت سؤال الكينونة، وانشغلت بسؤال الكائن، وهذا العدا لم يأت من فراغ، بل جاء من مصادر عديدة؛ من بينها الاشتباك النقدي مع نصوص هيغل وشيلينغ، والالتقاء بالعالم اللاهوتي، وناقد الحدائثة، كارل بريغ Carl Braig، والاطلاع على الرسالة البابوية، الصادرة في عام 1907، والاحتفال بذكرى أبراهام أمكتا كلارا، بمناسبة إزاحة الستار عن تمثاله في 16 آب/ أغسطس 1910، والحضور الرمزي لهذه الاحتفالية من قبل هايدغر (ص 20، 23، 27، 39، 40، 42).

التركيز على الأجواء الفكرية التي أنثت الزمن المعرفي لهايدغر، وخاصة المدارس الفكرية، ومن بينها الفلسفة المادية، والنزعة البراغماتية، والتيار الدارويني، والمثالية الألمانية، والكانطية الجديدة، ومدرسة التحليل النفسي، وكذلك الشخصيات المرجعية في الفكر الغربي آنذاك؛ جورج زيمل وفلسفة النقود، وماكس فيبر وموقفه من الحدائثة الغربية، وفرانز برنتانو وفكرة القصدية، وإدموند هوسرل والتأسيس للفينومينولوجيا بوصفها نزعة تريد أن تعالج أزمة المعنى في العلم، والانشغال بالمنطق مبكراً، والاطلاع على كتاب مباحث منطقية لهوسرل، وكتاب المعنى المتعدد للموجود بحسب أرسطو لفرانز برنتانو، والالتقاء بفلاسفة الحياة: فيلهلم دلتاي، وهنري برغسون، وماكس

أما بشأن الكتاب، فهو ينقسم، في كليته، إلى مقدمة وخمسة وعشرين فصلاً، إضافة إلى قائمة بالاختصارات، وتسلسل زمني لحياة هايدغر، ومراجع وفهرس عام. ومن خلال عملية السرد التي ركزت، على نحو أساسي، في ربط الحياة الشخصية لهايدغر بمجموعة الحوادث الفكرية؛ من هواجس، وانشغالات وأسئلة، وكتابات وما لازمها من تحرير ونشر، وحرص شديد على صناعة رؤية فلسفية مخصوصة به، وغيرها من النقاط المفصلية التي ساهمت في تشكيل حياته، فإن الأمر اللافت للنظر في عملية التأريخ لحياة هايدغر هو أن الكاتب اجتهد في توزيع حياة الفيلسوف بين الطريقة التعاقبية والانشغال بما حدث في عالم فكره، وهذا يدل على أن العمل صعب وعسير بكل المقاييس، فهو يتطلب من الباحث أن يطلع على الحياة الفكرية أولاً، وأن يكون عارفاً بمختلف الأحداث التي أطرت حياته الشخصية والعامة ثانياً، وأن يكون كذلك، متصفحاً لأغلب الأعمال التي خصصت لحياة الفيلسوف ثالثاً، وهي كثيرة، كُتبت بألسنة عديدة، أشهرها اللسان الألماني؛ مثل كتاب أوتو بوغلر فكر مارتن هايدغر: مسار نحو الكينونة⁽⁶⁾، وكتاب هيغو أوت مارتن هايدغر: عناصر من أجل سيرة⁽⁷⁾. ومن خلال ذلك، يمكن أن نرصد بعض الملاحظات:

لم يستثن المؤلف من حديثه كثيراً من التفاصيل المهمة في طفولة هايدغر، بمدينة مسكيرش التابعة لبادن؛ حيث التقاليد الليبرالية الراسخة، والحياة في

(6) Otto Pöggeler, *La pensée de Martin Heidegger: Un Cheminement Vers L'être*, Marianna Simon (trad.), (Paris: Aubier-Montaigne, 1967).

(7) Hugo Ott, *Martin Heidegger: Eléments pour une Biographie*, Jean-Michel Beloeil (trad.), (Paris: Editions Payot, 1990).

أدولف هتلر كفاحي (صفحة 215)، مما يدل على أن صاحب الكتاب يريد توريث هايدغر في المسار النازي مبكرًا، والسعي إلى البحث عن وجود علاقة بين النتاج الفلسفي لأفلاطون، وقضية انتمائه إلى النازية، وبخاصة عندما اشتغل معرفيًا بنظرية المثل من خلال أمثلة الكهف (ابتداءً من 1931-1932)، والاهتمام بالدكتاتورية بوصفها حلًا ضد الشيوعية، حيث يعتبر أن الاشتراكية القومية إنجاز لحلم الشاعر هولدرلين، لأن هايدغر نسب السياسة إلى «الهم» و«القييل والقال»، واشتغاله بمفهوم التاريخية، شكّل الأرضية المعرفية لانخراطه السياسي في الاشتراكية القومية (النازية). وقد عمل جاهداً على إدخال مبدأ القائد في الجامعة، وتنظيم المعسكر العلمي في حزيران/ يونيو 1933، وقام بمخاطبة العاطلين عن العمل في الجامعة (هيمنة المزاج الثوري في هذه المرحلة)، وتناسى الكاتب العوامل الثقافية التي وطّأت لظهور النازية، ومقدرتها على ردّ الاعتبار للشعب الألماني، بعد «معاهدة فرساي» المذلة. ونحن نلاحظ وجود نزعة لمحاكمة هايدغر من داخل الفلسفة، لكن بطريقة ملتوية، متمثلة بالفلسفة اليونانية، والتركيز اللافت للنظر على مرحلة رئاسة الجامعة، مع أنّ مدتها القصيرة، وكأنها هي سبب الشرور كلها؛ ما يؤكد أن هذا النوع من الكتابة يحمل في ثناياه كثيراً من المحاكمات، وينبع من ذاتية معينة.

وبالرغم من ذلك، فإن هذا الكتاب يبقى قيمًا بالترجمة إلى اللسان العربي، نظرًا إلى طبيعة الاستقراء الذي اعتمد عليه الكاتب، وخاصة من ناحية الابتعاد قدر المستطاع عن السرد العادي لحياة الفيلسوف، والاجتهاد في فهم ملابسات السيرة الذاتية؛ وذلك لأنها تتعلق بسيرة أكبر فيلسوف في القرن العشرين.

شيرلر، ونيتشه، ومارتن لوتر، وسورين كيركجارد، والعلاقة الشائكة بالفيلسوفة حنة أرندت، والصدقة مع إليزابيت بلوخمان، والاهتمام بدونس سكوتوس، وهو فيلسوف نقد العقل في العصر الوسيط، وجورج لوكاتش ومفهوم التشيؤ، والصدقة الفلسفية مع كارل ياسبرز، وكذلك مع اللاهوتي رودولف بولتمان مدى الحياة، ولقاء أرست كاسيرر، في ملتقى دافوس ربيع 1929، والشجار الفلسفي الذي حدث بينهما حول طبيعة الانتماء الفلسفي للنسق الكانطي، وصدور كتاب روح اليوتوبيا، لإرنست بلوخ عام 1919، وصدور كتابه العمدة الكينونة والزمان عام 1927، وزيارته الأولى إلى أثينا، وكذلك زيارته المتكررة إلى روما (في الأعوام: 1962، 1964، 1966، 1967). فكل هذه الفعاليات الفكرية، ساهمت على نحو فاعل وحيوي في تشكيل عقلية فلسفية كبيرة تركت بصمتها المعرفية على زمنه بأكمله، وعلى أسماء فلسفية فرنسية؛ مثل ريمون أرون، وجان بول سارتر، وجان بوفريه، والشاعر روني شار، وباول تسيلان، و مترجميه إلى اللسان الفرنسي فرونسوا فيديه وفرونسوا فوزان.

نلاحظ في متن الكتاب وجود نوع مخصوص من المحاكمة الفكرية لهايدغر تتمثل في تركيز الكاتب على مسألة انتماء هايدغر إلى النازية؛ إذ تظهر عبارة «الاشتراكية القومية» (ص 230)، بحيث يكون هايدغر خصمًا عنيدًا وشرسًا للديمقراطية التعددية؛ لأنها في نظره تنتمي إلى «الهم»، والحضور القوي للنزعة الفردية في كتابه الكينونة والزمان، وربط فلسفة الأصالة بالاشتراكية القومية، والاستثمار في نصوص تيودور أدورنو، وبخاصة في كتابه رطانة الأصالة، الذي أشار فيه إلى تعامل هايدغر مع فكرة الموت على أنه أمر من القوات الخاصة، إضافة إلى تحدّثه عن كتاب

References

المراجع

العربية

- أرندت، حنة. «الملك السري للفلسفة». مجلة فكر وفن. العدد 48 (1988).
- سافرانسكي، روديفر. معلّم ألماني: هايدغر وعصره. ترجمة عصام سليمان. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. الدوحة: بيروت، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2018.
- الشيخ، محمد. نقد الحداثة في فكر هايدغر. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008.
- غدامير، هانز جورج. طرق هايدغر. ترجمة حسن ناظم وعلي حاكم صالح. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2007.

الأجنبية

- Ott, Hugo. *Martin Heidegger: Eléments pour une Biographie*, Jean-Michel Beloeil (trad.). Paris: Editions Payot, 1990.
- Pöggeler, Otto. *La pensée de Martin Heidegger: Un Cheminement Vers L'être*. Marianna Simon (trad.). Paris: Aubier-Montaigne, 1967.
- Safranski, Rüdiger. *Schopenhauer et les années folles de la philosophie*. Paris: PUF, 1990.
- . Nietzsche: *Biographie d'une pensée*. Paris: Actes Sud, 2000.
- . Goethe: *Kunstwerk des Lebens: Biographie*. München: Hanser 2013.